

الحزن والغضب:

في محاضرات الراغب: سئل ابن عباس عن الحزن والغضب، فقال: أصلاهما واحد، وذلك: وقوع الأمر على خلاف المحبة. فأما فرعاها فمختلفان، فالمكروه ممن فوقك يُنتج حزنا، والمكروه من دونك يُنتج غضبا، قال المتنبي:

وحزنٌ كلُّ أخٍ حزنٍ هو الغضب.

المداهنة والمدارة:

في سراج الملوك للطرطوشي: المداهنة: أن توافق الناس على أمر يَغْلِم الدين، ويقْدَح في المروءة. وهي خلق يدل على رقة الإيمان، وضعف النفس، وسوء التربية، وقد عمّت بها البلوى، وأصبحت دستور الناس في هذا الزمن، وأحسبها علة العلل في انحطاط الشرق وتدهور شعوبه، قال تعالى في التحذير منها: ((وداوا لو تُدْهِن فيُدْهِنون)).

أما المدارة: فهي أن توافق الناس على وجه يسلم معه دينك وشرfk، فتأمن شرورهم، وتطفر بمحبتهم، دون أن تُؤميت حقا، أو تُحْيي باطلا. وهي أصل من أصول الاجتماع، ففي الحديث الشريف: ((رأس العقل بعد الإيمان بالـ)) عز وجل - التودُّد إلى الناس، وأُمرت بمدارة الناس، كما أُمِرَت بأداء الفرائض، لو تكاشفتُم ما تدافنتُم)) أي لو كاشف الناس بعضهم بعضا بما يضرهم من العداوة والبغضاء، ما شيعوا جنائزهم إلى مقابرهم. فالفرق بينهما - كما ترى - دقيق جداً، يحتاج إلى إعمال الفكر، وتعمق النظر، وشدة التحري، ولهذا قيل: إذا سقمت المدارة، استحالت إلى مداهنة. أقول: وقد اختلط الأمر على أكثر الناس، فتراهم يداهنون وهم يطنون أنهم يدارون، وشتان بينهما، فالمداهنة منتهى عنها، والمداداة مأمور بها، ومن دارى سلم، ومن داهن أثم، كما قيل: ومن أمثال المدارة أن بعض زعماء العباسيين سأل رجلا عن رأيه في السواد - شعار الدولة العباسية - فقال: وهل النور إلا في السواد. أراد نور العين في سوادها. فأرضى السائل ولم يكذب. ومثله قول شريح وقد خرج من عند عبد الملك بن مروان في ساعة احتضاره فسئل عن حاله -: تركته يأمر وينهى. فلما فُحص عن ذلك عُرف أنه أراد: يأمر بالوصية، وينهى عن الذُّوح.

